نـافـذة

في ذكرى حطين

في الرابع من شهر تموز مرت ذكرى معركة حطين، التي قادها السلطان صلاح الدين الأيوبي في عام ١١٨٧م، والحروب الصليبية التي دامت نحو قرنين من الزمن، تعرض فيها العرب للخطوب والكروب، عاشوا فيها أجواء الشدايد والمحن، وتقلبت عليهم الأحوال من الهزائم إلى الانتصارات، ومن التقدم إلى الارتداد، ولكنهم كانوا مناضلين يأبون الهوان، يرفضون الذل والاحتلال، فجاهدوا بالكلمة التي تحث على القتال، وتشعل الحماسة في الصدور، ولم يتسرب اليأس إلى نفوسهم حتى وضعوا نهاية للظلم والبغي وطردوا الغزاة من بلادهم وكانت سورية على مدى هذا التاريخ الطويل حاملة مشعل العروبة والنضال ضد الفرنجة...

تجمع المصادر التاريخية، أن مما سهّل على الفرنجة غزو الشرق، تردي أوضاع العرب المسلمين، فقد ضعفت الدولة العباسية، نتيجة الثورات المستمرة والانقسامات والفتن المذهبية والسياسية، ما أدى إلى تفكك الدولة ونشوء إمارات ودويلات مستقلة أو شبه مستقلة في الشام وغيرها، وفي مصر أخذت الخلافة الفاطمية في الاضمحلال والانقسام، وفي آسية الصغرى ضعفت دولة السلاجقة وتفتت وصارت إمارات صغيرة شبه مستقلة، وفي الأندلس استولى الإسبان على طليطلة في عام ١٠٨٥م، واحتل النورمان جزيرة صقلية... كل هذا الضعف، أغرى الفرنجة بالتفكير في احتلال المشرق العربي، فرفعوا شعار تحرير بيت المقدس وقبر السيد المسيح (عليه السلام) فتجمعت القوى الأوروبية وأعدت الجيوش، واتجهت نحو الشرق، فهزم السلاجقة وتقدموا نحو أنطاكية والرها واحتلوا السواحل السورية حتى عكا التي مروا منها إلى مدينة القدس واغتصبوها بعد حصار وصراع، وفي المسجد الأقصى جرت أكبر المذابح، ولا يمكن بحال من الأحوال سرد تاريخ حافل مما حدث على مدى قرنين من الزمن.

على الرغم مما حصل، لم تتراجع الهمم ولم تتقهقر المحاولات، فظهر في الأمة الإسلامية قادة وأبطال أعادوا الأمل، وأنزلوا الهزائم القاسية بالفرنجة أمثال: عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وأسد الدين شيركوه، وصلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس والأشرف قلاوون وغيرهم من القادة الذين سجل لهم التاريخ معارك كبيرة، كان أبرزها معركة حطين التي ترتب عليها تحرير القدس الشريف، وكان الفرنجة قد احتلوه في الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٩م وظل في أيديهم إلى عام ١١٨٧م، وكان لهذا النصر المجيد مقدمات مهمة، أهمها تولي صلاح الدين الأيوبي مصر، واستقرار حكمه في مصر والشام، ودخوله مع الفرنجة في معارك عدة حالفه النصر في معظمها... ونال ثناء كبيراً في جميع المعارك المظفرة التي خاضها حتى من المؤرخين الفرنجة... وكان موت صلاح الدين في عام ١١٩٣م ووقوع القدس في أيدي المسلمين، من أهم الأسباب في تجديد الحملات الصليبية على الشرق، ولكن العرب كافحوا بعد صلاح الدين ولم يتخاذلوا، وتصدوا للفرنجة في بلاد الشام وفي دمياط والمنصورة، وإذا كان الفرنجة قد استطاعوا احتلال القدس مرة أخرى... فإنهم لم يتمكنوا من الاحتفاظ بها على المدى البعيد، فقد تحررت القدس ثم سقطت، ثم تحررت نهائياً، وما جرى بالقدس جرى مثله لعدد من المدن الأخرى... وبعد مرور أكثر من مئة سنة على موقعة حطين، كانت آخر معارك الحروب الصليبية في مدينة عكا، هذه المدينة الحصينة التي يصعب اختراقها.

وبعد سقوط الدولة الأيوبية، واصل المماليك جهادهم ضد الفرنجة، وكان للظاهر بيبرس دور مشرّف في إنزال الهزائم بجيوش الفرنجة، وتحرير عدة مدن وقلاع حصينة، واستمر بعده في الجهاد الملك المنصور قلاوون وابنه الأشرف، حتى كانت نهاية الحروب الصليبية في الثامن عشر من أيار ١٢٩١ ميلادية... وعندما نتوقف عند لمحات مما حدث في هذه الحرب الطويلة، لابد من الإشارة إلى أن بعض الحكام المسلمين قد تحالفوا مع القوى الأجنبية وساعدوهم ومهدوا لهم الطرق لاحتلال مدن ومناطق عدة من بلادنا، ولكن هذه الخيانات لم تثمر وسقطت في مهدها قبل أن تشكل خطراً كبيراً على الأمة العربية والإسلامية... لقد أدرك العرب أن قوتهم في وحدتهم وفي تماسكهم وإدراكهم أن القضاء على الفرنجة، ما كان يمكن أن يتم لولا تضامنهم الوثيق ضد هذا الخطر الذي استمر نحو قرنين من الزمن، وضعفهم وتشرذمهم هو الذي شجع الفرنجة على قيام حملاتهم المستعرة، وحروبهم الصليبية المغرضة.

د. علي القيم

بُرهة نقيّة

رانيا كرباج

.... كي نعيشَ برهةً نقيّة تتجلّى فيها غير خائفة نفسنا الأصلية بما فيها من نقص وجمال، لا بد أن نكونَ قادرينَ على التملّص من الكمّ الهائل من التلوّث الفكري الذي يرهقنا منذ أن خُلقنا. جئنا إلى هذا العالم محمّلين، لا أدري بتاريخ بحزن وبحنين، لنجدَ أنّنا مضطرّون كل يوم أن نحملَ أكثر، مفاهيم وأفكار وعقائد ومبادئ قد تُغنينا أحياناً وقد تضنينا أحياناً أخرى، قد تُنقذنا وقد تُضلّلنا، ولكنّنا في أغلب الأحيان لا نملكُ القدرة أو الشجاعة على أن نقولَ فيها كلمتنا. لكن «أن نقولَ كلمتنا» يعني بالضرورة أن نعيها و«أن نعي كلمتنا» يعني حكماً أن نعرفَ أنفسنا ونتصالح معها. هنا نبدأ نخطو صوب مفهوم هو أعتق وأعمق ما يقلقُ وجودنا بوصفنا أفراداً وجماعات، صوب تلكَ التي اشتعلت من أجلها الحروب وأُنزلَت الديانات وتمترس مارد الاقتصاد، صوب تلك التي طابت بوجودها على الأرض الحياة.... صوب تلك التي يدعونها حرية. طريقنا إلى الحريّة يبدأ بمعرفتنا لذاتنا معرفة موضوعية قادرة على إدراك ما فينا من جمال وايجابية وتوسيع رقعته وتفهم سلبياتنا وأسبابها ودفعها في طريق النمو. لكن كما ذكرت سابقاً فثقافتنا باتت محمّلة بما لا تطيق من أفكار ومفاهيم وحاجات ماديّة تُثقلُ على الإنسان رحلته صوب نفسه وما لم ينتفض يوماً ويُقرّر أن يكون معرفته الخاصة التي تساعده على بلورة إمكانياته وملكاته وتسخيرها ليعيشَ أكثر انسجاماً وسعادة، فإنه سيبقى عبداً أسيراً يمشي على طريق ليس له ويكرّر كلاماً لا يشبهه. فالإنسان وإن مشى على درب الوعي محاولاً عبر مسيرته الطويلة أن يصل إلى المعرفة بطرقٍ متعددة، فاتكل طوراً على الإله وتحوّل إلى مخلوق ضعيف مسيّر، وآخر راح يلعب هو دور الإله معتقداً أنه بالعلم والمعرفة قد يتمكن من السيطرة، في كلتا الحالتين لم يصل إلى النتيجة المرجوة وبدلاً من أن ينقذ نفسه فقدها. وبقيت ذاته الحرة البسيطة منسية، ساكنةً عميقاً في صميم وجوده، تمدّ رأسها من حين إلى حين لتجدَ أن الواقع يرفضها ويغرقها بالدونية واللّعنات. مع أن السر كل السر يكمن في تلك النفس، فمن خلالها سنعبر إلى الآخر ويعبر إلينا، من خلالها سنعرف الإله الذي طالما بحثنا عنه وسيعرفنا، من خلالها سنضع أقدامنا على الطريق الذي يصلح لنا. وسندرك أن الوجود جميلا، وأنّ الآخر يشبهنا وما من داعٍ للحقد، وأننا جزء من الإله وهو جزء منا وما من داعٍ للخوف.

الكابوس الأميركي... محاولة ناقدة لآثار الطهرانيّة في الذهنيّة الأميركيّة الحاليّة

تحذير من كاتب أميركي.. الولايات المتحدةالأمريكية متخلفة إنسانياً

عامر فؤاد عامر

«إنّ بيتاً تأسس على عبادة المال، لا يمكنه الاستمرار في البقاء». هذه إشارة من السيد المسيح عليه السلام يوضح فيها من دون شرح إلى أن المال وما يؤسسه زائل، وفي هذه الإشارة يمكن دحض كلّ المبررات الدينيّة التي اختلقها الغرب في مدّ نفوذهم سياسياً اعتماداً على القوة التي امتلكوها فجعلتهم في مصاف الدول المتحكمة في مصير دول وشعوب العالم.

الأب الياس الزحلاوي

في البحث عن الحقيقة

«عندما بدأ الأب الياس زحلاوي ترجمة هذا الكتاب عام ٢٠٠٤، أي في قمة مرحلة العماء العالمي، المؤمن بالدور «الرسولي» للولايات المتحدة الأميركيّة، ومن ثم الغرب عموماً، ودفعه لي كي أنشره على حلقات في مجلة رؤى ثقافيّة، التي كنت أصدرها حينها، بدا الأمر، يومذاك، بالنسبة للأغلب الأعمّ من مثقفينا ومتابعي المجلة، أنه محاولة إيهام بهشاشة العقل الأميركي من جهة، وإعطاء جرعة أمل في البقاء، لمريض مقبل على الموت من جهة أخرى، والمريض المعني هو ذاك العقل المتمسك بأن ما يحدث في العالم، وما تفعله أميركا فيه، عرضي ووقتي وزائل». هذا مما جاء في مقدمة الكتاب التي وضعها «محمد سعيد حمادة» في تعريف لضرورة ما ترجمه الأبّ الياس زحلاوي ليكون مساحة توضيحيّة لكلّ من يبحث عن حقيقة تمدّنا بما جاء من مؤامرة تُحاك منذ عشرات السنوات حولنا، ولكشف أساسات ما بنيت حوله أفكار الدول الغربيّة وخصوصاً أميركا في النهوض بأنانيّتها وسطوتها على الشعوب بتبريرات تختلقها معتمدة على كونها ترى ما لا يراه الناس وتتسيد الحضرة بقوتها بين جميع الدول بغطرسة وحقد على بلاد التاريخ والحضارات.

أميركا شعب الله المختار!

يعتمد كتاب «الكابوس الأميركي» لمؤلفه «روبير دول» على الفكرة التالية: «الأميركيون يرون أن كل تدخل عسكري أو سياسي في البلدان الأخرى، يجد تبريراً له في أن الأميركيين هم أبداً شعب الله المختار، الأمر الذي كان طهرانيّو القرن السابع عشر مقتنعين به اقتناعاً تاماً». فهناك مبررات دينيّة اعتمدتها السياسة الأميركيّة كما نلاحظ في خطواتها العسكريّة التي خربت من خلالها استقرار بلدان متعددة، وشعوب كثيرة منذ الحرب على فيتنام، وإلى الحرب على سورية.

العلاقة مع القرن السابع عشر

تعود طريقة الأميركيين في التفكير والعمل إلى القرن السابع عشر، ويعتقد الأميركيون أن ميولهم الحاليّة هي عصريّة بالكليّة، لكن التحليل الذي يؤكده الكاتب «روبير دول» هو أن الطابع الأميركي قد صاغته الخبرة الطهرانيّة والتي خلقت آثاراً كثيرة في هذا المجتمع، ولا يمكن ملاحظته بسرعة للقادم من بعيد إلى أميركا. ويصل الكاتب إلى نتيجة مهمّة للغاية مفادها ما يلي: «كلما ازداد التغيير، ظلّت الأمور على ما هي عليه».

جوانب أربعة مهمّة

ركّز الكاتب «روبير دول» في كتابه «الكابوس الأميركي» على جوانب أربعة من الذهنيّة، والحياة الطهرانيّة في القرن السابع عشر، وعلى آثارها في القرن العشرين، وهي: الفردانيّة، والتقسيم بين مختاري الله وغير المختارين، والقسوة، والاعتراف العلني. وما يميّز الكاتب هو أنه داعية للسلام غير منحاز لأصوله مطلقاً، وقد آثر أن يكتب كتابه باللغة الفرنسية وليس بلغته الأمّ لشعوره بأنها لغة ستمنحه الحريّة في التعبير عن أفكاره وتحليلها لنقاط ضعف المجتمع الأميركي وماهيته، مقصياً نفسه عن كلّ ما يتعلّق بأميركا، وفي ذلك يقول: « لم أتبنّ يوماً قيم المجتمع الأميركي. فماديّته ونزعته العسكريّة تثيران اشمئزازي، اليوم كما بالأمس».

حياديّة روبير دول

غادر «روبير دول» أميركا بعد أسبوع من نيله شهادة التخرج في جامعة هارفارد عام ١٩٦٨، وأمضى ٩ سنوات في أوروبا، و١٨ عاماً في كندا، كلّ ذلك أهله ليرى بمنظار الإنسان الغريب المجتمع الأميركي، وقد ذكر في ذلك أيضاً: « عندما غادرت بلدي التعس، كنت شاباً غاضباً على مجتمع بدا لي بمنزلة امبراطورية الشرّ. لم أكن أهرب من الحرب وحسب، ولا العنصريّة ولا الماديّة ولا العنف. بل كنت أيضاً أهرب من الأميركيين أنفسهم، ذهنيّتهم، ثقافتهم، سلوكهم، عقدهم، سوقيّتهم، تعبيراتهم... والآن وقد قاربت الخمسين، فقد تحول غضبي إلى شفقة».

الفردانيّة

ورد في قسم الفردانيّة شرحٌ للطهرانيّة وفيه يقول: «يعتقد في الأغلب أن كلمة «طهراني» لا تطبق إلا على صعيد الأخلاق الجنسيّة. ومع ذلك، فإن الطهرانيين أنفسهم كانوا يرون أن الكلمة تعني تطهير الديانة. وكانوا يأخذون على الكاثوليك، الذين كانوا يطلقون عليهم اسم «الباباويين»، إلغاء الأمور الأساسية في الديانة المسيحيّة، باعتماد طقوس مسليّة وتراتبيّة كنسيّة؛ تجرد الإنجيل من رسالته الحقيقيّة. وكانوا يرمون إلى استعادة بساطة الكنيسة، ونقائها، إبان بداية الحقبة المسيحيّة». اعتمدت خصائص الطهرانيّة في القرن ١٧ على علاقة سريّة بين الله والإنسان فقط، ولا وسيط بينهما. بدأ استخدام قوة الطهرانيّة في السيطرة على المجتمع من خلال اعتراف الأخلاق الطهرانيّة بالفضائل الاقتصاديّة، لتنطلق بعدها البروتستانتيّة، ما جعل الكنيسة البروتستانتية أكثر اهتماماً بالرأسماليّة وجمهورها، ومع مرور الوقت أصبح الطهرانيون القبيلة الأكثر ثراءً وقوّة امبرياليّة في تاريخ العالم. فيما بعد اقترن مفهوم الفردانيّة بالحريّة الفرديّة واقتناع الفرد بما يتصرف به فقط.

المختارون وغير المختارين

أراد طهرانيو القرن ١٧ تثبيت نظرتهم في جعل موطنهم (انكلترا الجديدة) مكاناً يُضرب فيه المثل في جماله، وسعيه ليكون موطن الحكمة، والعلاقة الوطيدة مع الله. مع مرور الوقت أخذت هذه الفكرة مكانها في الاستعلاء على باقي شعوب العالم، ولاسيّما أنّ الأميركيين يشكلون ٥،٦٪ من سكان العالم، ويمتلكون ٥٠٪ من ثروة الأرض، بالتالي هناك ما يحفزهم للحفاظ على قوّتهم الاقتصاديّة، ومن هنا جاء ارتباط الدولة كمؤسسة مع الفكر الديني؛ الذي يدعو ليكون شعباً مميّزاً بين شعوب العالم. وظهر ذلك بدايةً في التوسع على جيرانهم في كندا ١٨٢٢ وفي المكسيك ١٨٤٨ والمستعمرات الإسبانية ١٨٩٨ إلى أن جاءت الحرب على فيتنام.

القسوة

إنّ القسوة تلعب دوراً أساسياً في التاريخ الأميركي، منذ الحقبة الطهرانيّة وحتى اليوم. وكلما عدّت القسوة بمنزلة عقاب إلهي، ازدادت خبثاً ومكراً، فإن الفرد يكلّف الدولة مهمةُ إنزال العقوبات، والدولة، إذ تمثل الله، تبرئ الفرد. وإنّ العذابات التي يُنزلها الشعب المختار بمن يعيشون في الظلمات، إنما هي مطلبٌ تفرضه طبيعة الإنسان الساقط بعينه. وإنّ لم تبد أممٌ ما استعدادها لاقتفاء المثال الأميركي، فهي تستحق أن يُقتل مواطنوها تحت القصف الجوّي.

الاعتراف العلني

شُوّه مفهوم الاعتراف الكنسي لدى تصعيده عند الطهرانيين الجدد، فقد بات كلّ ما يفعله المرء اعترافاً أمام الملأ، وأخذ هذا المفهوم في الاعتراف المثلي الجنسي وجوده وأحقيّته في الحياة، فكان الموضوع أميركياً بحتاً، فإن هذه الظاهرة هي أميركيّة في العمق، حتى إنه ليس ثمّة، في أيّ لغة أخرى، تعبيرٌ متداول يعادل التعبير الأميركي «الظهور أمام الملأ». صحيحٌ أن الجنسيين المثليين في الأمم الأخرى، يكشفون أيضاً عن جنسيتهم المثليّة، ولكنهم أبعد من أن يجاروا الأميركيين اليوم على هذا الصعيد.

وأيضاً

حمل كتاب «الكابوس الأميركي» ٣ فصول إضافية تدعم ما جاء به الكاتب «روبير دول» وهي شهادة للروائي «جويس كارول اوتس»، وتحليلات أخرى للذهنيّة الأميركيّة، وخاتمة يخلص فيها إلى أن هذا الكتاب هو دعوة من أجل تغيير جذري لنظام الولايات المتحدة، الاجتماعي والاقتصادي من جهة، ومن جهة أخرى هو تحذير إلى سائر البلدان.

«تشيللو».. الاقتباس أميركي والقيود شرقية

نص متفاوت الجودة وعيون إخراجية تسبب الضجر

بثينة البلخي

رغم بداية جذابة، وإشكالية قيمية حملته شيئاً من الجدل القابل لخلق التشويق، لكن مسلسل «تشيللو»، لم يستطع الحفاظ على هذه الروح أكثر من أسبوع، لنكمل بقية الحلقات، أمام مماطلات وقصص جزئية جانبية لم يكتب لها التطور، حتى جاءت الحلقة الأخيرة محملة بالمعاني دفعة واحدة، في غياب حبكة رديفة للقصة الأساسية وعدد شخصيات أقل من أن يخلق مساحة لأحداث شيقة.

نهاية مبكرة لأحد أهم أركان المسلسل

المسلسل بدأ مع قصة حب بين ياسمين (نادين نجيم) وآدم (يوسف الخال) بدت خرافية في قوتها ورومنسيتها، لكنها ما لبثت أن تضعضعت مع ظهور تيمور تاج الدين (تيم حسن) رجل المال والجمال والسلطة، الذي وقع في غرام ياسمين وقرر أن تكون له، فراهن على مصيبة خسارتها وزوجها لحلم عمرهما (المسرح)، ليتدخل مقايضاً على حل المشكلة مقابل ليلة مع ياسمين، يحصل بعدها الزوجان على مليون دولار، لنشهد كيف قضى الكاتب في أقل من أسبوع على أحد أهم أبطال المسلسل -آدم- محولاً إياه إلى شخصية مهزوزة هزيلة، دورها يكمن في إظهار عظمة تيمور فقط، وكأن الكاتب تعمد أن يسوق المشاهد إلى كرهها عنوة، برغم أنه أظهره في البداية رجلاً عصامياً، طموحاً، جميل الشكل، موهوباً، ومقداماً في الدفاع عن حبيبته أمام والدتها الفظة في رفضه لفقره وتدني مستواه عنها.

التفاف على القيم والمفاهيم

في البداية تركنا الكاتب أمام السؤال، هل يمكن للحب أن ينهار أمام الحاجة الماسة للمال؟ وبدأت الإشكالية الأخلاقية، في التبلور مع قبول ياسمين وآدم لطرح الفكرة على طاولة النقاش، لكن الغريب كان في أن تلتف ياسمين على المفاهيم، وتهرب من تسمية الأشياء بمسمياتها، فبدلا من أن تعترف بأنها باعت الحب، وتواطأ زوجها معها في ذلك، قبلت العرض وهي تدعي أن تفعل ذلك من أجل حبيبها آدم، وهنا ظهر تيمور ملكاً في وضوحه وصدقه مع نفسه ومعها، ليقول إنه ما كان ليقبل العرض لو كان مكان آدم.

الاقتباس أميركي والقيود شرقية

دخل الشك، بين الزوجين، مع وعد ياسمين بألا يمسها تيمور وأن تكون مجرد ليلة عادية مقابل نصف المبلغ، لكن تيمور، أرسل المبلغ كاملاً، رامياً كرة النار بين الزوجين العاشقين ليبدأ الحب بالانهيار أمام تراجع الثقة من قبل آدم.

الكاتب هنا وبرغم أنه اعتمد في الحكاية كلياً على الاقتباس من الفيلم الأميركي (عرض غير لائق)، لكنه ظل مقيداً بالقيود الشرقية التي غالباً ما تجافي الواقع، بل أكثر من ذلك ذهب مع المخرج أحياناً إلى تتريك المسلسل وربما منحه نكهة مكسيكية، فشعرنا في لحظات كثيرة أنه قصة حب- متشعبة- لا نهاية لها، إذ لم يترك الأمور مفتوحة على مصراعيها، ولم يسمح للمشاهد أن يصدق أن تيمور مس ياسمين في تلك الليلة، ليبقى التابوه الشرقي قائماً عبر الحفاظ على بطلة المسلسل كقديسة، وبقيت كل المحاولات الأخرى لتقريب القصص أو تبعيدها عبر استخدام شخصية ريا وقصتها مع الاختيار بين المال والحب، وقصة الراقصة بسمة التي لا تريد الزواج من حبيبها خوفا من شرقيته، عبارة عن إعادة إنتاج للقصة، ولكن من دون تدنيس صورة البطلة، التي بقيت منفعلة لا فاعلة، باستثناء الحلقة الأخيرة.

تيمور ملك لا منافس له

ظل الكاتب حريصاً على خلق حالة التعاطف لدى المشاهد مع تيمور، فهو الرجل الوسيم الأنيق شكلاً وسلوكاً، لم يجبر ياسمين على شيء، أحبها بإخلاص، بذل من أجل إسعادها الغالي والرخيص، حافظ على مسافة من حياة الزوجين كي يتركهما لصراعهما، وكأنهما بيديهما من خربا حياتهما، وأكثر من ذلك أفرد الكاتب لتيمور مشاهد كثيرة، يطرح فيها أفكاره وينظّر ويبرر لنفسه عدة أمور، ولاسيما حديثه للكاميرا في الفيلم الوثائقي، فنال بذلك أكثر من حقه في عرض أفكاره على خلاف آدم الذي تعمد الكاتب في الوقت ذاته، أن يشنع بشخصيته ويبرز عقده، ويزجه في أتون قصة لم يمهد لها سابقاً، وهي خيانة والدته لوالده، لنكتشف أننا أمام إنسان معقد.

إذاً، لم يخلق الكاتب منافساً قوياً لتيمور، يجعلنا نشعر بلذة التشويق، بل كانت المشاكل ذات حلول سريعة من دون مقاومة تذكر من الأعداء، فكان تيمور إله العمل بكل ما للكلمة من معنى، وهو الذي يحرك الشخصيات، ويضع نهاية للقصة استناداً لكرم أخلاقه، على حين سيقرر الاختيار بين الصح والحق كما أسلفت العرافة التي طلب إليها التنبؤ بمستقبله، والتي كان لها هي الأخرى دور في تلميع صورة تيمور.

والحق أن تيم حسن امتلك روح الشخصية على نحو قبض فيه أنفاس المشاهدين لمرات كثيرة، ولاسيما أنه أكثر من نطق بعبارات ذات مغزى خلال العمل، سواء على صعيد الحب، أم الحياة، أم المال، لكن المسألة لم تتوقف هنا، فقد كان الفعل الحركي لتيم حسن الذي قارب الشكل المسرحي أحياناً أحد عوامل رقي أداء الشخصية الذي اعتدناه دائماً.

تقنيات روائية عبثية..

لم تضف التقنيات الروائية التي كان من الواضح أن الكاتب اعتمدها في نسج قصته التلفزيونية أي شيء، فكان المايسترو الذي يلعب دور الراوي كلي المعرفة- وهو هنا لسان الكاتب بطبيعة الحال- يفسر ما هو مفسر، أو يبرر أحياناً للشخصيات ميزاتها السلوكية، أو يملي على المشاهد رأيه بالأحداث. أما المأساة فكانت في اختيار «تشيللو» عنواناً للمسلسل، فيما بدا واضحاً أن الهدف من ذلك، التسويق للعمل، وسقطت الآلة، الضحية الأولى للانهيار القيمي للأخلاق وللقيم المعنوية للأشياء، رغم تبرير الراوي أنه قدمه لياسمين- عازفة التشيللو- لأوقات الضيق، لكن هذا لا يبرر التضحية بالقيم اللامادية لمصلحة المادة، وبالنتيجة انتهى المطاف بالتشيللو الأثري إلى مزاد علني ليتحول إلى سلعة يتم تسعيرها. بالمقابل لم يطرح العمل الذي يحمل اسم آلة موسيقية، دوراً للموسيقا وقدرتها على التأثير في النفس، مع أنها كانت فرصة مؤاتية لطرح مقطوعات موسيقية والتسويق لها، وفرصة للتعرف إلى ياسمين العازفة، وماضيها والولوج إلى نفسيتها مثلا، على وقع الموسيقا، بيد أن الكاتب استدرك في الحلقة الأخيرة، فعاد آدم إلى الأضواء رجلاً متوازناً، ومدرساً مخلصاً للموسيقا، ليحدثنا عن نشأة التشيللو وعراقتها، ويعيد شراء الآلة الأثرية لياسمين، مرجعاً الحب والفن إلى دائرة القداسة، ليجعل النهاية في مصلحته على ما بدا واضحاً للمشاهدين.

قوة الجذب السحرية

العيوب الإخراجية كانت واضحة في المسلسل، بشكل استدعى الضجر أحياناً، وسبب الإحساس بأن المخرج تعامل مع المشاهد باستهتار في بعض المواطن، فعلى سبيل المثال لا الحصر؛ تقطيع المشاهد كان غير منطقي في مرات عديدة، ربما يكون أبرزها في تلك التي تبرز الفواصل الزمنية، من قبيل مشهد تصويب فواز الطلقة للكاميرا، فيما عامل المراقبة يشاهده من دون أن يأتي بأي حركة، وأكثر من ذلك يتسمر في مكانه منتظراً إياه أن يأتي لقتله!! كما برزت هذه العيوب في استخدام الكتابة للتعبير عن الزمن، فيما يعود الحوار ليؤدي الوظيفة نفسها، ناهيك عن استخدام البيانو خلفية موسيقية في أغلب الأحيان أكثر من التشيللو الحامل الرئيسي للمسلسل.

على أن الأداء الراقي والمغرق في الرومنسية لتيم حسن، وتقمصه دور الرجل بأذى الترف، والعاشق الراقي، والطموح الذي لا يشق له غبار، شكل عامل جذب حافظ على عيون المشاهد مشدودة إليه برغم الملل، كذلك فإن أغنيتي شارة البداية والنهاية لمروان خوري تأليفاً ولحناً وغناء، اللتين قدمتا لمحة عابقة بالعشق عما يجول في خاطر بطل المسلسل (تيمور) حيال حبيبته، كانتا من السحر، بحيث لم يفوت على الكثيرين سماعهما على مدار أيام عرض المسلسل، رغم توافر فرص تحميلهما وسماعهما بشكل مستمر. ولعل مشهد المستشفى- مفرط الرومنسية- على وقع أنغام وصوت مروان خوري، مع الحضور الآسر لتيم حسن الذي تفوق أداؤه الأنيق على النص الهزيل، قد يكون من أهم المشاهد الحابسة للأنفاس في العمل ذي الإيقاع البطيء، رغم الأثاث الفاخر والصورة الأنيقة.